20 me. année No 977

Le Caire 24 — 3 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

تحية للشيخ الرئيس

بمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية

ابن سينا كما يتخيله الفرنج

فى هذا الأسبوع ، وفى بغداد عاصمة العلم القديمة ، يحتفل العالم الإسلامى بالذكرى الألفية لمولد الطبيب الرياضى العالم الفيلسوف أبى على الحسن بن سينا واحد فنه فى الشرق والغرب ، ونادرة عصره فى الطب والحكمة ، وأحد العباقرة العالميين الذين رفعوا قواعد العلم ، ونهجوا سبل المعرفة ، ووصلوا ما انقطع من تسلسل الفكر الإنسانى بين الفلسفة الإغريقية القديمة ، والفلسفة الأوربية الحديثة

ولد أبو على سنة ٣٧٠ هـ فى قرية من قرى بخارى كان أبوه عاملا عليها للأمير نوح بن منصور السامانى ، ثم توفى سنة ٤٢٨ بهمذان إحدى مدن إيران كان قد وفد إليها على الأمير علاء الدولة البويهى ؛ فكان ظمء حياته على هذه الأرض ثمانية وخمسين عاما قضى أكثرها فى الاضطراب والاغتراب والقلق والسجن والخوف والشهوة والمرض ، ومع كل أولئك استطاع أن يكون بحر العلم الزاخر فى وقته ، وبدر العلماء الزاهر فى جيله ، فقرأ كل كتاب وانتفع منه ، وحذق كل علم وزاد فيه ، وألف مائة سفر فى الطب والفلسفة والمنطق واللغة والموسيقى والرياضيات والطبيعيات والإلهيات والأساطير ؛ وكان أول عالم ظهرت فى علمه الفلسفة الكلامية على أتم ما كانت من الدقة والسمة والوضوح . ثم كان هو والبيرونى الغاية التى لم يكن وراءها مذهب للفكر فى القرون الوسطى : هو بدقة نظامه وبراعة فهمه ، والبيرونى بقوة ملاحظته وسعة علمه

ربى ابن سينا منذ الخامسة من عمره تربية علمية منظمة ، فحفظ القرآن وتثقف الأدب وشدا شيئا من الحساب والفقه . ثم سمع فى محاورة أبيه لأخيه وهما شهمان كلاما فى النفس والعقل ، وإشارة إلى الفلسفة والهندسة ، فصبت نفسه إلى علم ذلك . وورد يومئذ بخارى أبو عبد الله الناتلى فأقرأه فى المنطق إيساغوجى ، وفى الرياضة المجسطى ، فكان الأستاذ يقف عند المبادئ والظواهر ، والتلميذ يغوص على المسائل فيستخرج الدقائق ، ويمحص الحقائق ، ويبصر العلم بما لم يبصر . ثم رغب

فى علم الطب فتلقى أصوله على أبى سهل المسيحى ، واستقصى فروعه وحده حتى انتهت إليه الزعامة فيه . كل ذلك وسنه على ما قال هو نفسه لم تتجاوز السادسة عشرة . ثم أبرأ الأمير نوح ابن منصور من مرض برّح به ، فقربه إليه وأذن له فى الدخول إلى دار كتبه ، وكانت عامرة بنوادر الأسفار فى كل علم وفن ، فوعى ما فيها من كتب الطب والفلسفة وما بعد الطبيعة على ظهر قلبه . ثم أصابتها النار عمدا أو خطأ فلم تبق منها على ورقة ! فانفرد الشيخ بكنوزها المخبوءة فى صدره ، وكانت هذه النكبة العلمية من مزاياه على غيره !

ثم توفى أبوه وضعف شأن أميره فاضطربت به الأحوال ، وتدفقت عليه الأهوال ، فخرج وهو فى الثانية والعشرين من عمره إلى قصبة خوارزم فأقام بها يسيرا فى كنف أميرها على بن مأمون ، ثم غادرها إلى جرجان فثقف بعض الناس ، وألف بعض الكتب . ثم انقلب إلى همذان فوزر لشمس الدولة بن بويه . فلما توفى هذا الأمير وخلفه ابنه تاج الدولة صرفه عن عمله ، ففرغ للبحث والتأليف ، وصنف فى هذه الفترة أعظم كتبه . ثم نشب الصراع بين أمير همذان وأمير أصبهان فانتهم بالدعاية إلى علاء الدولة ، وطلبه تاج الدولة فاختبأ فى حانوت صيدلى حتى وقعت العيون عليه فسجنه فى إحدى القلاع . فأنشأ فى ذلك قصيدة منها هذا البيت :

دخولى باليقين كما تراه وكل الشك فى أمر الخروج

وظل فى السجن أربعة أشهر حتى استطاع أن يفر متنكرا فى زى الصوفية إلى علاء الدولة بأصبهان فأقام فى حماه وادع النفس ، يؤلف ويختصر ، ويحاضر ويناظر ، ويمترض ويجيب . واتفق ذات ليلة أن جرى فى مجلس الأمير حديث فى اللغة شارك فيه ابن سينا ، وكان أبو منصور الجبان حاضرا ، فأنكر عليه أن يتكلم فى غير علمه ، فأنف الشيخ من هذا الإنكار وعكف على دراسة اللغة ثلاث سنين حتى بلغ منها موضعا جليلا أهله لأن يؤلف فيها كتابا سماه لسان العرب لم يؤلف مثله قبله أحد ! وهكذا انقضت تلك السنين الأربع والمحمون فى عمل لا يفتر ، وسعى لا ينى ، وعذاب لا يرحم ، وصراع لا يهادن ، وحظ لا يساعد ، وولوع بالنساء لا يهدأ ، ونزوع إلى الشراب لا يكف ، حتى وهن الجسم القوى ، ووهى العزم الشديد ، ونرات بالنطاسى العظيم علة تكل عنها تدبيره وطبه !

* * *

كان الشيخ الرئيس يرد الله تراه آية من آيات الله فى لقانة الذهن وأصالة العقل وقوة الحافظة ونفاذ الهمة . أكثر علمه من اجتهاده ، وأنجح طبه من تجاربه ، وأجل كتبه من حفظه . وكان على استبداد عقله بفكره ، وطغيان علمه على فنه ، صافى القلب للدين ، صافى النفس للشعر ، سامى الخيال للقصص . كان إذا أعيت عليه مسألة ذهب إلى المسجد فتوضأ وصلى وابتهل إلى الله أن يجلو عليه ما غمض ويفك له ما أشكل . ثم كان له فى الشعر العينية ومقطوعات أخرى من النمط الرفيع والنسق الفريد ، وفى الأساطير (سلامان) و (حى بن يقظان) و (الطير) ، وهى رموز لمعان سامية من الحكمة العالية والروحية الجميلة . وكان فى الشيخ رحمه الله صوفية لا تجرى على منهاج المتصوفة : صوفية هؤلاء وجدانية تقوم على الزهد والتقشف ، وتقصد إلى تصفية القلب وتطهيره ؛ وصوفيته هو عقلية تبيح النعيم واللهو وترمى إلى تقوية العقل وتنويره . وكان أعظم ما يميز الشيخ اليقين فيما يرى ، والثقة فيما يقول ، والإبانة فيما يكتب . كان لا يشك إذا علم ، ولا يتردد إذا فهم ، ولا يتحسس إذا استبان . وتلك طبيعة العالم لا الفيلسوف ، والدارس لا الباحث ، والمتبع لا المبتدع ، والمؤلف لا المنشئ .

هذه أثارة من حياة حافلة ، وإشارة إلى مجد باذخ ، وعبارة من تاريخ ضخم . ذكرناها على هذا الإيجاز القاصر اكتفاء بما سيلقيه ذوو الاختصاص فى حفلات مهرجانه من البحوث المفصلة فى طبه ، والخطب المطولة فى فلسفته . وإنا لنحيى خاشعين من وراء الستر ذكرى الشيخ الرئيس ، ونسأل الله ضارعين أن ينعم روحه فى الخلد ، وأن يطيب ذكره فى الخلود

حسين الزيات